

تناوب استعمال حروف المعاني في الخطاب النبوي دراسة في أحاديث نبوية من "صحيح البخاري"

بقلم
د / عبد الحميد بوتريعة (*)



ملخص

نَعْمَلُ في هذا المقال على الوقوف على بعض حروف المعاني التي لا يكادُ نصُّ أو قولٌ يخلو مِنْهَا، والتي كان لها حُضورٌ واضحٌ في بنية الحديث النبوي الشريف، وتناوب استعمالها في تراكيبه، ودورٌ كبيرٌ في تلاحم عناصره ومكوناته، وأثرٌ مُتميزٌ في توجيه دلالته، من خلال ما سندرُسُهُ في جملة أحاديث نبوية من "صحيح البخاري" وقوفاً عند الدلالات التي تحملها تلك الحروف في البنية النصية لهذه الأحاديث.

الكلمات المفتاحية:

تناوب ؛ حروف المعاني ؛ الحديث النبوي ؛ معنى الحرف ؛ في ؛ الباء ؛ على ؛ أو ؛ دلالة .

مقدمة

إنَّ من أهمِّ العلوم الانسانية علم اللسان بما يهدفُ إليه من معرفة كلام العرب صوتاً ولفظاً وتركيباً ودلالةً، ومن الوحدات اللغوية التي يُعنى بها هذا العلم والتي لها دورٌ كبيرٌ في تلاحم عناصر التراكيب، وتوجيه دلالاتها ما سمَّاهُ النحاة "حروف المعاني"، هاته الحروف التي أفردَ لها النحاة واللغويون والأصوليون أبواباً بل مصنفاتٍ بالدراسة، لاسيما من حيث حُضورها في الكلام، وتناوب استعمالها في

(*) أستاذ محاضر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي - الجزائر .

تاريخ الإرسال: 2018/06/22 تاريخ القبول: 2018/10/01

hamid752007@yahoo.com

التراكيب، وتعدّد معانيها باختلاف سياقاتها، فالأصل في معرفة دلالة هذه الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف فيما ذكره الإمام السيوطي هو التأمل في الكلام واختلافه باختلاف مواقعها واستنباط الأحكام والمقاصد بحسبها.

ومن النصوص العالية النصّ النبويّ حديثُ رسول ﷺ، النصّ الثاني بعد كلام الله قداسةً والأعلى فصاحةً، والأسمى بلاغةً، الذي لا يُهْتَدَى إلى تحصيل معناه إلاّ بفهم كلام العرب مفرداتٍ وتراكيبٍ، فكان لابدّ من معرفة دلالات حروف المعاني فيه كونها أكثر حضوراً في الكلام، ولا يكاد نصّ أو قولٌ يخلو منها.

من هنا نعملُ في هذا المقال على الوقوف على بعض حروف المعاني التي كان لها حضورٌ واضحٌ في بنية الحديث النبويّ الشريف، وأثرٌ متميّزٌ في توجيه دلالاته من خلال ما سندرسه في جملة أحاديث نبويّة من "صحيح البخاري" وقوفاً عند الدلالات التي تحملها تلك الحروف في البنية النصيّة لهذه الأحاديث.

- الإشكالية : فيم يبرز استعمال حروف المعاني في الحديث النبويّ الشريف من كتاب "الجامع الصحيح"؟ وما الدلالات التي تحملها تلك الحروف في البنية النصيّة للحديث الشريف؟

وقد تفرّع عن هذه الإشكاليّة جملةٌ من الإشكالات الآتية:

- ما مفهوم الحرف لغة واصطلاحاً ؟ وما الفرق بين حروف المباني وحروف المعاني؟

- ما المعنى الأصليّ والمعاني المجازية التي تُفيدها كلّ من أحرف الجرّ (في، الباء، على) وحرف العطف (أو)؟

- ما الدلالات التي تُفيدها هاته الأحرُف في الحديث النبويّ الشريف؟

- أهداف البحث:

إنّ مقالنا هذا نهْدَفُ من ورائه إلى جملةٍ من الأهداف تتمثّل فيما يأتي:

تناوب استعمال حروف المعاني في الخطاب النبويّ د. عبد الحميد بوترة

- 1- معرفة حروف المعاني وأهميّة حضورها في الكلام .
- 2- المعاني الأصلية والمعاني المجازية لحروف المعاني (في، الباء، على، أو)
- 3- الشروح المُجملة لمجموعة الأحاديث النبوية (محلّ الدراسة)
- 4- الكشف عن "حروف المعاني" وحضورها في الحديث النبويّ ، وتناوب استعمالها في تراكيبه، وتعدّد معانيها باختلاف سياقاته، والدلالات التي تحمّلها في البنية النصّية للحديث
- 5- الكشف عن المعاني التي تُفيدُها حروف المعاني (في، الباء، على، أو) في الأحاديث النبوية الشريفة .

- منهج الدراسة:

لتحقيق هذه الدراسة أهدافها، وللتمكن من معالجة الموضوع بطريقة علمية دقيقة اعتمدنا المنهج الوصفي المشفوع بالتحليل وذلك من خلال تناول تعريف حروف المعاني ومعانيها، وهذا باستقراء ما جاء عن اللغويين والنحاة من أقوالٍ وتعريفاتٍ على تعدّد آرائهم واختلاف اتجاهاتهم ، إضافةً إلى عرض المعنى الإجمالي لكلّ حديث نبويّ شريف باستقراء أقوال علماء الحديث وشراحه في كتب الشروح والحواشي. فضلاً عن جمع ما ذُكر في دلالات هذه الحروف حسب تأويلات النحويين وتعليقات الأصوليين مع دراسة تلك الدلالات وترجيح ما يُمكن ترجيحه باعتبار القرائن اللغوية والحالية، وهذا ما اقتضى منّا توظيف المنهج الاستدلالي لمناسبتِه الحُكْم والترجيح.

- الدراسات السابقة:

- التوجيه النحويّ وأثره في دلالة الحديث النبويّ الشريف دراسة في الصحيحين، نشأت علي محمود عبد الرحمان.
- التضمن بين حروف الجرّ في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية، إيناس

شعبان.

- محمد درباس، ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة كلية الآداب قسم اللغة العربية.
- دلالات الحروف وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، رجب محمد سالم رفاعي.
- **خُطّة الدراسة:**

انطلاقاً من إشكاليّة البحث الرئيسة، وإشكالاته الفرعية اعتمدنا الخُطّة الآتية:

-مقدمة

-تعريف الحرف لغةً واصطلاحاً

-تعريف حروف المباني

-تعريف حروف المعاني

1- الحرف "في" ومعانيه

-الحديث الأول، شرحه، دلالة "في" فيه

-الحديث الثاني، شرحه، دلالة "في" فيه

-الحديث الثالث، شرحه، دلالة "في" فيه

2- الحرف "الباء" ومعانيه

-الحديث الأول، شرحه، دلالة "الباء" فيه

-الحديث الثاني، شرحه، دلالة "الباء" فيه

3- الحرف "على" ومعانيه

-الحديث الأول، شرحه، دلالة "على" فيه

-الحديث الثاني، شرحه، دلالة "على" فيه

4- الحرف "أو" ومعانيه

-الحديث، شرحه، دلالة "أو" فيه

- خاتمة

أولاً - تعريف الحرف:

أ- لغة : جاء في لسان العرب: الحرف من حروف الهجاء، والحرف الأداة التي تُسمَّى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كَعَنْ وَعَلَى ونحوهما، قال الأزهري: كل كلمة بُنِيَتْ أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى وهَلْ وِبَلْ ولعل، وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تُسمَّى حرفاً، تقول: هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود. والحرف في الأصل: الطَّرْفُ والجانب، وبه سُمِّي الحرف من حروف من الهجاء، وروى الأزهري عن أبي العباس أنه سئل عن قوله نزل القرآن على سبعة أحرف فقال: ما هي إلا لغات.

وحرفاً الرأس: شَقَّاهُ، وحرف السَّفينَة والجليل: جانبها، والجمع أحرف وحروف وحِرْفَةٌ، وحرف عن الشيء يحرف حرفاً والحرف وتحرف. واحرورف: عدل. قال الأزهري: وإذا مال الإنسان عن شيء يُقال تحرف وانحرف وحرورف¹ فالحرف إذن يعني: حرف الهجاء، والأداة، والقراءة، والشق، والجانب، والعُدول والانحراف.

ب- اصطلاحاً: لقد ميَّز اللغويون الحرف بين صنفين: حروف المباني وحروف المعاني.

ثانياً - حروف المباني :

هي التي تُبنى منها الكلمات كزاي (زيد)²، وهي حروف الهجاء التسع والعشرون حرفاً. وكل واحد منها رمز مجرد لا يدل إلا على نفسه ما دام مستقلاً لا يتصل بحرف آخر، فإذا اتصل بحرف أو أكثر نشأ عن هذا الاتصال ما يُسمَّى (الكلمة)، فالتصاَل الفاء بالميم مثلاً يوجد كلمة (فم).³ فسُمِّيَتْ حروف الهجاء بحروف المباني لأن الكلمة تُبنى وتتكوَّن صيغتها منها، فهي أساسُ بنية الكلمة، وهي غير حروف الرِّبط.⁴

ثالثاً - حروف المعاني :

ذَكَرَ الكفويّ مفهوم الحَرْفِ عند النحاة: ما جاءَ بمعنى لَيْسَ باسم ولا فعلٍ، والمعنى الذي وُضِعَ لَهُ الحَرْفُ سواءً كان نسبةً أو مستلزمًا لها هو المعيّن بتعيين لا يحصلُ في ذهن إلا بذكر المتعلّق.⁵

وقد أوردَ المرادي حدَّ الحَرْفِ قائلاً: « قال بعض النحويين: لا يُحتاجُ في الحقيقة إلى حدِّ الحَرْفِ، لأنَّه كَلِمٌ محصورةٌ، وليسَ كما قال، بل هو ممَّا لا بدَّ منه، ولا يُستغنى عنه، لِيُرجَعَ عند الإشكال إليه، ويُحكَمَ عند الاختلاف بحرفيّة ما صدَقَ الحدُّ عليه. وقد حدَّ بحدود كثيرة. ومن أحسنها قولُ بعضهم: الحَرْفُ كلمةٌ تدلُّ على معنى في غيرها فقط...فمَّا ليسَ بكلمةٍ فليسَ بحَرْفٍ: كهمزٍ النقل والوصل، وياء التصغير، فهذه من حُرُوف الهجاء، لا من حروف المعاني، فإنَّها ليستُ بكلماتٍ بل هي أبعاضُ كلماتٍ. »⁶

وقد عدَّ عباس حسن الحروف التي هي من أقسام الكلمة "أدوات الربط" اعتماداً على ما ذهب إليه النحاة إذ قال: «النحاة يُسمُّون الحروف التي هي من أقسام الكلمة "أدوات الربط" لأنَّ الكلمة إمَّا أنْ تدلَّ على ذاتٍ، وإمَّا أنْ تدلَّ على معنى مجرَّد، أي حدث وإمَّا أنْ تربط بين الذات والمعنى المجرَّد منها، فالاسم يدلُّ على الذات، والفعل يدلُّ على المعنى المجرَّد منها، والحرف هو الرابط، وهو يختلف اختلافاً كاملاً عن الحَرْفِ الهجائي الذي تُبنى منه صيغة الكلمة، كالباء، والتاء، والجيم وغيرها من سائر أحرَفِ الهجاء، وتُسمَّى لهذا أحرَفُ البناء »⁷.

وحروف المعاني في ما ذكره النحاة نوعٌ من هذه الأدوات (حروف الربط) لأنَّها تفيّد معنىً جديداً تجلُّبه معها، ومن هذه الحروف حروف الجرِّ، وحروف العطف، والنواصب والجوازم.⁸

ومَّا ذكره المرادي أنَّ جملة حروف المعاني ثلاثة وسبعون حرفاً، كما ذكرَ ما ذهب إليه

بعضُ النحويّين في عددها نيفًا وتسعين حرفًا. وجميعها منحصرةٌ في خمسة أقسامٍ من حيث بنيتها: أحادي، ثنائي، ثلاثي، رباعي، خماسي.⁹

هذا من حيث عددها، أمّا من حيث معانيها: فلها نحو من خمسين معنى للحرف الواحد، أو ما يزيد، إذ قال المرادي: « ذكرَ بعضُ النحويّين للحرف الواحد نحو من خمسين معنى، وزاد غيره معاني أخر.. وهذه المعاني المشار إليها يرجع غالبها إلى خمسة أقسام: معنى في الاسم خاصّة كالتعريف، ومعنى في الفعل خاصّة كالتنفيس، ومعنى في الجملة كالنفي والتوكيد، وربط بين مفردين كالعطف في نحو: زيدٌ وعمرو، وربط بين جملتين كالعطف في نحو: جاء زيدٌ وذهب عمرو. »¹⁰.

أمّا أقسامُ الحرف فهي ثلاثة: مختصّ بالاسم، ومختصّ بالفعل، ومشارك بين الاسم والفعل؛ فالمختصّ بالاسم فمنه ما لم ينزل من الاسم منزلة الجزء وهو لا يعمل كلام التعريف، ومنه ما لم ينزل منزلة الجزء وحقّه أن يعمل، فإذا عمل فأصله أن يعمل الجرّ، وأمّا المختصّ بالفعل فهو أيضًا منه ما ينزل منه منزلة الجزء وهو لا يعمل كحرف التنفيس، ومنه ما لم ينزل منزلة الجزء فحقّه أن يعمل، وإذا عمل فأصله أن يعمل الجزم، لأنّ الجزم في الفعل نظيرُ الجرّ في الاسم، ولا يعمل النصب إلاّ لشبهه بما يعمل، وأمّا المشترك فحقّه ألاّ يعمل لعدم اختصاصه بأحدهما.¹¹

سنكتفي في هذه الدراسة على بعض الحروف التي كان لها حضورٌ واضحٌ في بنية الحديث النبوي الشريف، وأثرٌ في دلالاته من خلال ما سنعرّضه في جملة أحاديث نبويّة وقوفًا عند الدلالات التي تحملها تلك الحروف في نسق النصّ النبويّ، وسياقة الوارد فيه، هاتيه الحروف متمثلةً في أحرف الجرّ (في، الباء، على)، وحرف العطف (أو).

1- الحرف "في": له تسعة معانٍ:

أ-الظرفيّة: وهي الأصلُ فيه، الظرفيّة حقيقة نحو: الماء في الكوز، سرتُ في النهار. أو مجازيّة نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾¹².

- ب-المصاحبة، نحو قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾¹³ أي مع أُمَمٍ.
- ج-السببية والتعليل، نحو قوله تعالى ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹⁴. أي بسبب ما أفضتُم فيه.
- د-المقايسة وهي الواقعة بين مفضُولٍ سابقٍ وفاضلٍ لاحقٍ، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾¹⁵
- هـ-الاستغلاء - بمعنى على - كقوله تعالى ﴿وَلَا صَلْبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾¹⁶
- و-الإلصاق - بمعنى الباء - كقول الشاعر¹⁷ :
ويركبُ يومَ الرّوعِ فيها فوارس *** بصيرون في طعن الأباهر والكلى .
(أي بطعن)
- ز-بمعنى (إلى) ، كقوله تعالى: ﴿فَرُدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾¹⁸ (أي إلى أفواههم).
- ح-أن تكون بمعنى (من) كقول امرئ القيس¹⁹:
وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدَهُ *** ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ .
(أي من ثلاثة أحوال)
- ط-أن تكون زائدة، كما في قوله تعالى ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾²⁰ (أي اركبوها).²¹

الحديث الأول :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَذَّبْتُ امْرَأَةً فِي هَرَّةٍ حَبَسْتُهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ، فَدَخَلْتُ فِيهَا النَّارَ» قَالَ فَقَالَ: «وَاللَّهِ أَعْلَمُ، لَا أَنْتِ أَطْعَمْتَهَا وَلَا سَقَيْتَهَا حِينَ حَبَسْتِهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتَهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»²².

- شرح الحديث:

وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ بِرَوَايَاتٍ عِدَّةٍ مِنْهَا رَوَايَةُ رَبِطْتَهَا، وَفِي رَوَايَةٍ تَأْكُلُ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ، وَمَعْنَاهُ كَمَا ذَكَرَ النَّوَوِيُّ عَذَّبْتُ امْرَأَةً بِسَبَبِ هَرَّةٍ، وَمَعْنَى دَخَلَتْ فِيهَا أَيْ

بِسَبَبِهَا ، وَخَشَاشِ الْأَرْضِ هِيَ هَوَامُّ الْأَرْضِ وَحَشَرَاتُهَا. وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ تَحْرِيمُ قَتْلِ الْهَرَّةِ ، وَتَحْرِيمُ حُبْسِهَا بِغَيْرِ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ ، وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَإِنَّمَا دَخَلَتِ النَّارَ بِسَبَبِ الْهَرَّةِ.²³

- دلالة "في" في الحديث:

الأصلُ في معنى (في) أن تكونَ ظرفيةً إلا أنَّها في هذا الحديث حَمَلَتْ معنى آخر ، وهو السببية والتعليل ، قال العيني «قوله (في هرة) ، أي في شأن هرة أو بسبب هرة. قوله (فدخلت فيها) أي بسببها»²⁴. قال ابن مالك: تَضَمَّنَ هذا الحديث استعمال (في) دالةً على التعليل ، وهو ما خفي على أكثر النحويين ، ومع وروده في القرآن العزيز ، والحديث ، والشعر القديم²⁵. فاستعمال (في) في الموضعين من الحديث الشريف على معنى السببية والتعليل ، ويكون معنى الحديث عذاب امرأةٍ حاصلٌ بسبب موت هرة حبستها فماتت جوعاً ، فدخلت لأجلها النار ، وهو ما ذهب إليه القرافي في تأويل هذا الحديث²⁶ ، والكرمانى²⁷ ، والعسقلاني²⁸.

- الحديث الثاني:

« عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا ، قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْصِي بِمَا لِي كُلُّهُ ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَالْشَّطْرُ ؟ ، قَالَ : لَا ، قُلْتُ : الثُّلُثُ ؟ قَالَ : فَالْثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ ، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ ، فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا ابْنَةٌ »²⁹.

- شرح الحديث:

يُشِيرُ هذا الحديث الشريف إلى نوعٍ ممَّا كَانَ المسلمون في عهد الرسول ﷺ

يَتَغَوَّنَ مِنْ تَخَيُّرِ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ ، فهذا الصحابيُّ الجليل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - لما أحسَّ بثقل المرض، وخشي أن يكون أجلُّه قد دنا رأى أن يُوصِي بثلاثي ماله صدقةً، ويترك الثلث لورثته، فاستأذن النبي ﷺ ذلك، فلم يأذن له، فاستأذنه في النصف، فلم يأذن له، فاستأذنه في الثلث فأذن له، وقد بينَ له النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ولسائر المسلمين الثواب والأجر الذي يلحق المتصدق ليس قبل موته فقط ، بل ثوابه أيضًا في ترك أولاده وورثته في غنى عن المسألة والحاجة، حتى لو كانت الصدقة بسيطةً، وحتىّ اللقمة التي يضعها في فم زوجته بيتغي بها وجه الله³⁰.

- دلالة " في " في الحديث:

إنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ شَرَّاحُ الْحَدِيثِ إِضَافَةً إِلَى النِّحَاةِ وَالْأُصُولِيِّينَ فِي دَلَالَةِ حَرْفِ الْجَرِّ فِي قَوْلِهِ ﷺ (في أيديهم) أي بأيديهم، أو المعنى كما ذكر العيني: يسألون بالكف اللقاء في أيديهم³¹. وهو ما ذكره أيضًا الكرمانى³²، فالحَرْفُ (في) جاء بمعنى الباء، وهذا ما ورد عند الكوفيَّين، وابن مالك. والظاهر أن قَصْدَهُمْ فِي مُرَادِفَتِهَا لِلْبَاءِ أَنَّهَا تَصُلُّ إِلَى الْمَفْعُولِ بِالْبَاءِ لِيَصِحَّ الْمَعْنَى. وعلى هذا فـ (يَتَكَفَّفُونَ) على تقدير مأخوذ من (الكف) الذي هو التَّزَكُّ، والمعنى حينئذٍ يسألون الناس ما يكفُّهم عن الجوع بأيديهم³³.

الحديث الثالث:

« عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ »³⁴ .

- شرح الحديث:

هذا الحديث يُبَيِّنُ لَنَا ثَمَرَةَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ الرَّاسِخِ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَبَيِّنُ مَا تَحْصُلُ بِهِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةُ، وَفِيهِ حَظٌّ عَلَى التَّحَلِّيِّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ السَّامِيَةِ الْعَالِيَةِ، وَإِثَارَةُ الْعَاطِفَةِ لِمَحَبَّتِهَا، وَالرَّغْبَةَ فِي تَحْصِيلِهَا، وَلِلْإِيمَانِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّ صَاحِبَهُ

ذاق شيئاً مطعوماً حلواً، فقد شبه الإيمان بالشيء الخلو الذي يُطعم³⁵، فحلاوة الإيمان فيما بينَ ﷺ تتطلَّب التحلي بثلاث خصالٍ، أولها محبة الله ورسوله التي تبعث على امتثال أوامره، والانتهاز عن معاصيه، ومحبة الرسول ﷺ تتطلَّب سلك طريقه والتخلُّق بأخلاقه، وثانيها محبة العباد خالصةً لله، وثالثها كُره العودة في الكفر كُره إلقاءه في النار، وهو حدٌ فاصلٌ بين الهلاك والفناء، والنجاة والفوز³⁶.

- دلالة "في" الحديث:

في تفسير معنى حرف الجرّ (في) ذهبَ الكرمانى إلى أن (يعودُ في الكفر) بمعنى الاستقرار أي (يستقرُّ في الكفر)، وتعديةُ الفعل يعودُ بآلة الظرف لا بكلمة الانتهاء (إلى)³⁷، بينما العيني رأى عكس ذلك وقد عبَّ على ما ذهب إليه الكرمانى قائلاً: «وأن يكره العود. فإن قلت: المشهور أن يُقال: عادَ إليه، مُعدىً بـإلى لا بـفي، قلت: قال الكرمانى: قد ضَمَّنَ فيه معنى الاستقرار، كأنه قال: أن يعود مستقراً فيه، وهذا تعسفٌ، وإنّا: في هذا بمعنى: إلى، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا﴾³⁸، أي تصيرنَّ إلى مِلَّتِنَا³⁹، وهذا هو الوجهُ الأقربُ إلى المعنى المقصود في سياق هذا الحديث النبوي⁴⁰. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِيْ أَفْوَاهِهِمْ﴾⁴¹، أي إلى أفواههم⁴².

2- حرف "الباء":

حرف مختصٌّ بالاسم ملازمٌ لعمل الجرّ، وقد ذَكَرَ المرادي لها ثلاثة عشر معنى⁴³:
أ- الإلصاق: وهو أصل معانيها وهو ضربان: حقيقي نحو (أَمْسَكْتُ الحَبْلَ بيدي) أي أَلَصَقْتُهَا به، ومجازي نحو (مررتُ بزيدٍ)، أي التَصَقَّ مروري بموضعٍ يقربُ منه.
ب- التعدية: هي القائمة مقام الهمزة في إيصال معنى الفعل اللازم إلى المفعول به نحو قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾⁴⁴.

ج- الاستعانة: هي الداخلة على آلة الفعل نحو (كتبت بالقلم) و (ضربت بالسيف) ومنه قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁴⁵.

د-التعليل: هي التي تصلح غالباً في موضعها اللام كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ﴾⁴⁶.

ه-المصاحبة: أي معنى (مع) كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾⁴⁷، أي مع الحق.

و-الظرفية: أي معنى (في) نحو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾⁴⁸.

ز-البدل: وهي بمعنى (بدل) كقوله الحماسي⁴⁹:

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا *** شَنُوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

ح-المقابلة: هي الباء الداخلة على الأثنان والأعواض نحو: (اشتريتُ الفرسَ بألفٍ).

ط-المجاورة: وهي بمعنى (عن) نحو قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾⁵⁰.

ك-الاستعلاء: أي بمعنى (على) كقوله تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ﴾⁵¹، أي على قنطار.

ل-التبعض: بمعنى (من) التبعية كقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾⁵²، أي منها.

م-القسم: نحو بالله لأفعلن. وهي أصل حروف القسم.

ن-أن تكون بمعنى (إلى) نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَي﴾⁵³، أي إلى.

وذكر عباس حسن المعنى الرابع عشر⁵⁴، وهي للتوكيد، وهي الزائدة نحو قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾⁵⁵، والتقدير (ولا تلقوا أيديكم).

- الحديث الأول:

عن أبي بردة عن أبيه، عن النبي ﷺ قَالَ: « مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بَنَلٍ، فَلْيَأْخُذْ عَلَى نَصَاهَا، لَا يَعْقِرْ بِكَفِّهِ مُسْلِمًا »⁵⁶.

- شرح الحديث:

النَّبْلُ هي السَّهَامُ التي يُرْمَى بها، وأطرافها تكون دائماً دقيقةً ننفذ فيما تصيبه من المرمى، فإذا أمسك الانسان بها وقى الناس شرَّها، وإذا تركها هكذا فربما تؤذي أحداً من الناس، ربما يأتي أحدٌ بسرعة فتخدشه، أو يمرُّ الرجلُ الذي يمسك بها وهي مفتوحة غير ممسكة فتخدشهم أيضاً. ومثل ذلك أيضاً العصي، ومثله أيضاً الشمسية، فكلُّ شيءٍ يؤذي المسلمين يُوجَّه النبي ﷺ ويأمرُ بأن يتجنَّبه الإنسان لأنَّ أذية المسلمين ليست بالهيئة.⁵⁷

- دلالة "الباء" في الحديث:

الأصلُ في الباء دلالتها على الإلصاق سواءً أكانَ حقيقياً أم مجازياً، إلَّا أنَّنا حين نستقري بنية هذا الحديث النبويِّ واجدُونَ أنَّ المعنى الذي تُفيده الباء في قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم (بِنَبْلٍ) هو المصاحبة أي بمعنى (مع) مقترنة بالحالية، أي (مَنْ مَرَّ مصاحباً للنبل)، وليست الباء فيه مثل الباء في قولك - يزيد - فإتَّها للإلصاق⁵⁸، ويمكن أن يقدر ممسكاً النبل.⁵⁹

قد نصَّ الزمخشري على أنَّها - الباء - يُغنى عنها وعن مصحوبها الحال، والحال المقدَّر من الجار والمجرور موقعها⁶⁰.

وهذا ما هو واضحٌ في هذا الحديث في تقدير الجار والمجرور (بنبلٍ) بالحال، أي: (من مرَّ في شيءٍ من مساجدنا أو أسواقنا حال مصاحبتة نبلاً فليأخذ...)، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾⁶¹، أي معه⁶²

- الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ».⁶³

- شرح الحديث:

يُرْشِدُ النَّبِيُّ في هذا الحديث الشريف المسلمين إلى الإبراد بالظَّهْر في شِدَّةِ الْحَرِّ،

والإبراد تأخير الصلاة إلى أن يبرد الوقت، يُقَالُ أبردَ إذا دخلَ في البرد، كأظهرَ إذا دخلَ في الظهيرة، فَيُسْتَحَبُّ تأخيرُ الظُّهرِ على قولِ جمهور أهل العلم في شدة الحرِّ إلى أن يبرد الوقت، وينكسر الوهج⁶⁴.

- دلالة "الباء" في الحديث:

إننا حينَ نقفُ على قوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم (أبردوا بالصلاة) نجدُ الباءَ حرفَ الجرِّ المسبوقَ بالفعل (أبردوا) المتبوعَ بالاسمِ المجرور (الصلاة) قد دلَّ على معناه الأصليِّ الإلصاق، كما يمكن أن يدلَّ على غيره، هذا المعنى الذي يُفهمُ من السَّيَاقِ النصِّ النبويِّ، وقد اختلفَ العلماءُ فيهن فقد ذَكَرَ العيني قولَ الرخشي في حقيقة الإبراد الدخولُ في البرد، والباءُ للتعدية، والمعنى إِدْخَالُ الصَّلَاةِ في البرد، ويُقَالُ معناه أَفْعَلُوها في وقت البرد. وذكرَ أيضًا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أبردوا بالصلاة) معناه (أخروا عنها مبردين)، وقيلَ أيضًا الباءُ زائدة، ومعنى أبردوا أَخَرُوا عَلَى سبيلِ التضمين⁶⁵.

فالباءُ إِذَنْ يمكنُ أن تُحمَلُ مِنْ خلالِ البنية التركيبية الواردة في النصِّ النبويِّ على أنَّها دالَّةٌ على المعنى الأصليِّ لها وهو الإلصاق، أي إلتصاقُ أداء الصلاة - صلاة الظهر - بالإبراد، وتأخيرها إلى حين تنكسر شدة الحرِّ كما جاء في فتح الباري⁶⁶. وهذا هو فيما يبدو المعنى الأرجح. كما يمكنُ أن تكون زائدة فلا تجلب معنى جديدًا، بل يُؤكِّدُ ويُقوِّي المعنى العام في الجملة كلها⁶⁷، وهو هنا معنى الإبراد بالصلاة، وتأخيرها إلى هذا الوقت، ويكون تقدير الكلام (أبردوا الصلاة) أي أدخلوها في هذا الوقت وقت الإبراد.

3-الحرف "على":

حرف جرٍّ أصليٍّ يجزُّ الظاهر والمضمَر، وأشهر معانيه ثمانية:

أ- الاستعلاء: وهو المعنى الأصليُّ والأشهر لهذا الحرف، ويدلُّ على أنَّ الاسمِ المجرور به قد وَقَعَ فوقه المعنى الذي قبل (على) وقوعًا حقيقيًّا مباشرًا، نحو قوله

تناوب استعمال حروف المعاني في الخطاب النبوي د. عبد الحميد بوترة

تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾⁶⁸، أو مجازيًا نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾⁶⁹.

ب-الظرفية: نحو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾⁷⁰.

ج-المجاورة: نحو: إذا رضي عليّ الأبرارُ غضب الأشرارُ، أي: رضي عنيّ.

د-التعليل: نحو: اشكر المحسنَ على إحسانه، وكافئته على صنيعه، أي: لإحسانه، ولصنيعه.

هـ-المصاحبة: نحو البرُّ أن تبذل المالَ على حبِّك له، وحاجتك إليه، أي مع حبِّك له.

و-أن تكون بمعنى (من) نحو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾⁷¹، أي من الناس.

ز-أن تكون بمعنى (الباء). نحو قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ...﴾⁷². أي: بآلاً أقول.

ح-الاستدراك: كقولك (فلانٌ لا يدخل الجنة لسوء صنيعه على أنه لا يئأس من رحمة الله)⁷³.

- الحديث الأول: عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : قال : « سألتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: حَدَّثَنِي بَهَنٌ، لَوْ اسْتَرَدَّتْهُ لَزَادَنِي »⁷⁴.

- شرح الحديث:

سأل عبد الله بن مسعود رسول الله عن أحب الأعمال إلى الله وأفضلها عنده، ليكون حرصه عليه أشد، وعنايته به أكبر، فأجابه الرسول ﷺ بأنَّ الأحبَّ والأفضلَ درجةً والأكثرُ ثواباً الصلاةُ على وقتها⁷⁵. فإذا وقعت الصلاة في وقتها كانت أحبَّ إلى

الله مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ⁷⁶. ثُمَّ سَأَلَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ عَمَّا يَلِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ. ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا يَلِي ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ الطَّبْرِيُّ: فَظَهَرَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ تَجْتَمِعُ فِي أَنَّ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا أَحْفَظُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا كَانَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.⁷⁷

- معنى "على" في الحديث:

جوابُ النبي ﷺ على سؤال ابن مسعود عن أحبِّ العمل إلى الله جاء مختصراً ومَوْظَفًا حَرَفَ الْجَرِّ (على) في قوله (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا)، فـ (على) في هذه الجملة الاسميَّة يَبْدُو معناها الظاهر هو الاستعلاء. قال العيني: «قوله (على وقتها) استعمال لفظة على بالنظر إلى إرادة الاستعلاء على الوقت، والتمكُّن على أدائها في أيِّ جزءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا».⁷⁸

وَذَكَرَ الْعَسْقَلَانِي أَقْوَالَ مُخْتَلِفَةً فِي دَلَالَةِ هَذَا الْحَرْفِ إِذْ قَالَ: «وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ مِنْ لَفْظَةِ (عَلَى) لِأَنَّهَا تَقْتَضِي الِاسْتِعْلَاءَ عَلَى جَمِيعِ الْوَقْتِ، فَيَتَعَيَّنُ أَوَّلُهُ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ: قَوْلُهُ (لَوْقَتِهَا) اللَّامُ لِلِاسْتِقْبَالِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلَّقُوهُمْ إِعْدَّتِهِنَّ﴾⁷⁹ أَيْ مُسْتَقْبَلَاتٍ عِدَّتِهِنَّ، وَقِيلَ لِلِابْتِدَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾⁸⁰. وَقِيلَ أَيْ فِي وَقْتِهَا..»⁸¹ نَرَى أَنَّ الْمَعْنَى الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ (عَلَى) هِيَ (فِي) الظرفيَّة لِأَنَّ الْوَقْتَ ظَرْفٌ بِهَا.⁸² فَالنَّبِيُّ ﷺ يَحْضُرُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا، وَهُوَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا سِوَاءَ أَكَانَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا أَوْ فِي أَثْنَائِهَا، وَالِاحْتِرَازُ عَنْ إِيقَاعِهَا آخِرَ الْوَقْتِ أَوْ خَارِجِهِ.⁸³ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾⁸⁴، أَيْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا⁸⁵ وَحِينَ الْغَفْلَةِ هِيَ وَقْتُ غَفْلَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حِينَ اسْتِرَاحَتِهِمْ، وَكَانَ مُوسَى مُجْتَازًا الْمَدِينَةَ وَحْدَهُ.⁸⁶

- الحديث الثاني: عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيِّ، قَالَ: صَحَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَضْحِيَّةَ ذَاتِ يَوْمٍ، فَإِذَا أَنَاسُ قَدْ ذَبَحُوا ضَحَايَاهُمْ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، رَأَاهُمْ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُمْ قَدْ ذَبَحُوا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ حَتَّى صَلَّيْنَا فَلْيَذْبَحْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ».⁸⁷

- شرح الحديث:

يَأْمُرُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالتَّسْمِيَةِ عَلَى الذَّبِيحَةِ ذَبِيحَةَ الْأُضْحِيَّةِ، وَالتِّي تَحَدَّدَ وَقْتُهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، لِأَنَّ ذَبْحَهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ لَا يُعَدُّ أُضْحِيَّةً، بَلْ هِيَ لَحْمٌ يُتَنَفَّعُ بِهِ، أَوْ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ.⁸⁸

- دلالة "على" في الحديث:

كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّ (على) لَهَا مَعَانٍ عِدَّةٌ، وَالِاسْتِعْلَاءُ هُوَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيّ لَهَا، لَكِنْ هَلْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يُدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ ﷺ (فليذبح على اسم الله). عَرَضَ الْعَيْنِي فِي هَذَا الْحَرْفِ مَعَانِي عِدَّةً، مِنْهَا الْمَصَاحِبَةُ، أَوْ بِمَعْنَى الْبَاءِ، إِذْ قَالَ: «وَعَلِمَ أَنَّ وَقْتُ الْأُضْحِيَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَذْبَحُهَا مَقْرُونَةً بِالتَّسْمِيَةِ لِأَنَّ كَلِمَةَ (على) هُنَا فِيهَا مَعْنَى الْمَصَاحِبَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ (ارْكَبْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ)، أَيْ مُصَاحِبًا بِاسْمِ اللَّهِ... وَقَالَ الدَّوَادِي أَيْ: بِاسْمِ اللَّهِ. وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ. وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لَا يُقَالُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَيَرْدُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ»⁸⁹. وَنَجَدُ الْإِمَامَ النَّوَوِي فِي شَرْحِهِ "صَحِيحَ مُسْلِمٍ" عَرَضَ أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ فِي هَذَا الْحَرْفِ وَمَعْنَاهُ قَائِلًا: «وَقَالَ الْقَاضِي يَحْتَمِلُ أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ، أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ فليذبح لله، وَالْبَابُ بِمَعْنَى اللَّامِ، وَالثَّانِي مَعْنَاهُ فليذبح بِسُنَّةِ اللَّهِ، وَالثَّالِثُ بِتَّسْمِيَةِ اللَّهِ عَلَى ذَبِيحَتِهِ إِظْهَارًا لِلْإِسْلَامِ وَمُخَالَفَةً لِمَنْ يَذْبَحُ لغيرِهِ وَقَمْعًا لِلشَّيْطَانِ، وَالرَّابِعُ تَبَرُّكًا بِاسْمِهِ وَتَيَمُّنًا بِذِكْرِهِ كَمَا يُقَالُ سِرٌّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَسِرٌّ بِاسْمِ اللَّهِ»⁹⁰، إِلَّا أَنَّهُ أَكَّدَ عَلَى أَنَّ (على) بِمَعْنَى الْبَاءِ «قَوْلُهُ ﷺ (فليذبح على اسم الله) هُوَ بِمَعْنَى رَوَايَةِ فليذبح بِاسْمِ اللَّهِ، أَيْ قَائِلًا بِاسْمِ اللَّهِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَاهُ»⁹¹، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾⁹² أَيْ مُتَعَيِّنٌ وَوَاجِبٌ قَوْلُ الْحَقِّ عَلَى اللَّهِ فِ (على) بِمَعْنَى الْبَاءِ، وَ (حَقِيقٌ) فَعِيلٌ بِمَعْنَى

مفعول، أي محقّق بأن لا أقول على الله غير الحقّ، أي مجعول قول الحقّ حقاً عليّ⁹³.
فدلالة (على) على معنى الباء هو المعنى الأصوب والأرجح في الحديث النبويّ فيما
نرى لأنّ العبد يتقرّب إلى مولاه بهذه الأضحية مُستعيناً بذكر اسمه عزّ وجلّ، وتبرّكاً
وتيمناً به.

4- الحرف "أو": حرف عطف يعطف ما بعده على ما قبله، وقد عدّه الرماني من
الحروف الهوامل.⁹⁴ ومذهب الجمهور أنّها تُشرك في الإعراب لا في المعنى نحو (قام
زيدٌ أو عمرو) فالفعل واقعٌ من أحدهما. أمّا ابن مالك قال إنّها تُشرك في الإعراب
والمعنى لأنّ ما بعدها مُشارك لما قبلها في المعنى الذي جيئ بها لأجله، لأنّ كلّ واحدٍ
منهما مشكوكٌ في قيامه⁹⁵، وذكر لها المرادي ثمانية معاني⁹⁶، أمّا ابن هشام الأنصاري
فقد أحصى لها اثني عشر معنىً وهي:

أ- التخيير: وهذا هو المعنى الأصلي لها، وهي الواقعة بعد الطلب وقبل ما يمتنع فيه
الجمع، نحو (تزوِّج هندا أو أختها).

ب- الشكّ: نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.⁹⁷

ج- الإنهام: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.⁹⁸

د- الإباحة: وهي الواقعة بعد الطلب وقبل ما يجوز فيه الجمع، نحو (جالس العلماء
أو الزهاد).

هـ- الجمع المطلق: كالواو نحو قول جرير⁹⁹:

جاء الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

و- الإضراب: كبّل بشرطين: تقدّم نفي، أو نهي، وإعادة العامل، نحو (ما قام زيدٌ
أو عمرو)

ز- التقسيم: نحو (الكلمة اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ).

ح- أن تكون بمعنى (إلا) في الاستثناء، وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار،

كقولك (لَأَقْتُلَنَّهٗ أَوْ يَسْلَمَ)

- ط- أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (إِلَى)، وهي كالتي قبلها في انتصاب المضارع بعدها بأن مضمرة، نحو (لَأُلْزِمَنَّكَ أَوْ تَقْضِيَنِي حَقِّي).
- ك- التقريب: نحو (ما أَذْري أَسْلَمَ أَوْ وَدَّعَ).
- ل- الشرطيَّة: نحو (لَأُضْرِبَنَّهٗ عَاشَ أَوْ مَاتَ).

م- التبعض: نحو قوله تعالى ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾¹⁰⁰، وهي المرادُ بها معنى التفصيل السابق، فكل واحدٍ ممَّا قبل (أو) التفصيليَّة وما بعدها بعض لما تقدَّم عليهما من المُجْمَل.¹⁰¹

- نص الحديث :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَحَدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَجَفَّ بِهِمْ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ. وَقَالَ: اثْبُتْ أَحَدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ»¹⁰².

- دلالة (أو) في الحديث :

الأصل في هذا الحرف دلالته على التخيير، وهو حرف عطف إذ يربط ما بعده بما قبله، ففي حديثه ﷺ الموجه إلى جبل "أحد" وظَّفَ هذا الحرف في قوله (فإنما عليك نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدان). قال القسطلاني: «أو بمعنى الواو لقوله ﷺ في مناقب الصديق فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان، فيكون لفظ أو شهيد بالآلف هنا بالإنفراد للجنس، ولأبي ذر وصديقٌ بالواو أو شهيدٌ بالآلف قبل الواو، فقليل أو بمعنى الواو أيضًا.

وقيل تغيير الأسلوب للإشعار بمُغايرة الحال لأنَّ النبوة والصديقية حاصلتان بخلاف الشهادة فإنها لم تكن وقعت حينئذٍ فالأولان حقيقة، والثالث مجازٌ¹⁰³، وهذا ما ذكره العسقلاني في فتح الباري¹⁰⁴، والكرماني في الكواكب الدراري¹⁰⁵.

أما ابن مالك فهو أيضًا لم يبعد عن هذا؛ فقد ذكر استعمال (أو) بمعنى الواو إلا أنه قيده بأمن اللبس، واستشهد بقول النبي ﷺ وبقول ابن عباس، إذ قال: «وتضمن الرابع والخامس استعمال (أو) بمعنى الواو، فإن معنى (فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد): فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. وكذا قول ابن عباس رضي الله عنهما: (ما أخطاك ثنتان: سرف أو خيلة). معناه ما أخطاك ثنتان: سرف وخيلة. ونظائرهما عند أمن اللبس كثيرة»¹⁰⁶ ف(أو) خرج معناها في هذا الحديث النبوي عن المعنى الأصلي التخيير إلى معنى الجمع الذي دلّت عليه الواو، وهذا هو التخرّيج الصحيح والمعنى السليم، والنبي ﷺ كما عرّف عنه فهو أبلغ العرب وأفصحهم، وقد أوتي جوامع الكلم، فلا أعرف منه بلغة العرب ولسانها ومعانيها منه ﷺ أحد.

الخاتمة

إنّ من أهم ما يمكن أن نخلص إليه في هذه الدراسة هو أنّ الحديث الشريف كونه خطاباً نبوياً وهو من النصوص العالية، يأتي ثانياً بعد كلام الله عز وجل فصاحة وبلاغة وقداسة، تشكّلت بنيته التركيبية بانتظام محكم وسبك دقيق وجمال عجيب، عملت فيه حروف المعاني دوراً فاعلاً في ترابط مكوّناته، وتوجيه دلالاته، وتحديد مقاصده وأبعاده، فتناوبت استعمالاتها، وتعدّدت معانيها؛ فلم تقف على معناها الأصلي، بل تجاوزته إلى معاني مجازية كانت الأنسب تخريجاً والأرجح تأويلاً، هاته الحروف التي درسناها من أحرف الجرّ (في، الباء، على) وحرف العطف (أو) تبرز فاعليتها، وتنجلي قيمتها ليس بالنظر إليها مفردة مستقلة بذاتها، وإنّما من خلال حضورها الواضح وتموّعها المناسب ضمن عناصر السلسلة الكلامية الواقعة فيها، وإفادتها معنى محدّداً يطابق فيه الكلام مقتضى الحال.

- الحواشي والإحالات:

¹ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ/1999م، مادة

- (حرف)، 127/3-129.
- ² الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، إعداد ووضع فهرس عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط2، 1419هـ/1998، ص395.
- ³ النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف مصر، ط5، دت، 13/1.
- ⁴ هامش المصدر نفسه، عباس حسن، 13/1.
- ⁵ ينظر: الكليات، الكفوي، ص394.
- ⁶ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1413، 1992م، ص20.
- ⁷ هامش النحو الوافي، عباس حسن، 66/1.
- ⁸ ينظر: المصدر نفسه، عباس حسن، 66/1.
- ⁹ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص28-29، وينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تح أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، سوريا، ص28-32.
- ¹⁰ الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص25.
- ¹¹ ينظر: المصدر نفسه، المرادي، ص25-27.
- ¹² البقرة: 179.
- ¹³ الأعراف: 38.
- ¹⁴ النور: 14.
- ¹⁵ التوبة: 38.
- ¹⁶ طه: 71.
- ¹⁷ البيت لزيد الخير (الخليل) الطائي، ينظر: شعر زيد الخليل الطائي جمع ودراسة وتحقيق أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث، سوريا، ط1، 1408هـ/1988م، ص67.
- ¹⁸ إبراهيم: 9.
- ¹⁹ البيت لامرئ القيس في ديوانه، ضبط وتصح مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط5، 1425هـ/2004م، ص123.
- ²⁰ هود: 41.
- ²¹ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص250-252، وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلايني، تح منصور علي عبد السمیع وثناء محمد سالم ومحمد محمود القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 1434هـ/2013م، ص607، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مكتبة مصر للطباعة، مصر، ص246-247.

- ²² صحيح البخاري، ترقى وترقى محمد فؤاد عبد الباقي وأحمد محمد شاكر، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2010م، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، (رقم 2365)، ص280، وفي صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة، (رقم 2242)، ص1068.
- ²³ ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط1، 1349هـ/1930م، 240/14.
- ²⁴ عمدة القاري، العيني، تح عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، 249/21.
- ²⁵ الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، أضواء السلف الرياض، م ع السعودية، ط2، 1997م، ص222.
- ²⁶ ينظر: التوجيه النحوي وأثره في دلالة الحديث النبوي الشريف دراسة في الصحيحين، نشأت علي محمود عبد الرحمان، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2011م/1432هـ، ص97.
- ²⁷ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1365هـ/1937م، 179/10.
- ²⁸ فتح الباري، ابن حجر، تح هاني الحاج، المكتبة التوفيقية القاهرة، مصر، ط3، 2012م، 458/6.
- ²⁹ صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفؤوا الناس. (2742)، ص382.
- ³⁰ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 472/5-473، وينظر: الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، اعت عبد المجيد طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1423هـ/2002م، ص320.
- ³¹ عمدة القارئ، العيني، 48/14.
- ³² الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانى، 62/12.
- ³³ ينظر: التوجيه النحوي وأثره في دلالة الحديث النبوي الشريف، نشأت على محمود عبد الرحمان، ص97-99.
- ³⁴ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (رقم 14)، ص11.
- ³⁵ ينظر: في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي، نور الدين عتر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م، ص41-42.
- ³⁶ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 88/1-89، وينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ضبط أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، 98-66/1. وينظر: في ظلال الحديث النبوي معالم البيان النبوي، نور الدين عتر، ص42-43.
- ³⁷ ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانى، 100/16.
- ³⁸ الأعراف: 88.

- ³⁹ عمدة القارئ، العيني، 1/241-242.
- ⁴⁰ ينظر: التضمنين بين حروف الجرّ في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية، إيناس شعبان محمد درباس، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة كلية الآداب قسم اللغة العربية، د ت، ص 86.
- ⁴¹ إبراهيم: 9.
- ⁴² ينظر: دلالات الحروف وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، رجب محمد سالم رفاعي، دار الكتب مصر، د ط، 2002م، ص 51.
- ⁴³ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 36-45، والإنقان في علوم القرآن، السيوطي، ص 233-234، وجامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص 598-600.
- ⁴⁴ البقرة: 17.
- ⁴⁵ النمل: 30.
- ⁴⁶ البقرة: 54.
- ⁴⁷ النساء: 170.
- ⁴⁸ آل عمران: 123.
- ⁴⁹ البيت ل: قريضا بن أنيف، ديوان الحماسة، باب الحماسة، أبو تمام، شرح وتعليق أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1418هـ/1998م، ص 11.
- ⁵⁰ الفرقان: 59.
- ⁵¹ آل عمران: 75.
- ⁵² الإنسان: 6.
- ⁵³ يوسف: 100.
- ⁵⁴ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 2/493-494.
- ⁵⁵ البقرة: 195.
- ⁵⁶ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المرور في المسجد، (رقم 452)، ص 63.
- ⁵⁷ ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، دار الوطن للنشر الرياضي، السعودية، (د.ط)، 1425هـ، 549/2-550.
- ⁵⁸ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 4/318-319، وفتح الباري، العسقلاني، 1/732.
- ⁵⁹ التضمنين بين حروف الجرّ في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية، إيناس شعبان محمد درباس، ص 82.
- ⁶⁰ معاني الحروف، الرماني، تح عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، ط 1، 2005م، ص 7.
- ⁶¹ هود: 48.

- ⁶² ينظر: دلالات الحروف وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، رجب محمد سالم رفاعي، ص 17.
- ⁶³ صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظَّهر في شدَّة الحرِّ، (رقم 536)، ص 71.
- ⁶⁴ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 20/2-21.
- ⁶⁵ ينظر: عمدة القارئ، العيني، 5/29.
- ⁶⁶ فتح الباري، العسقلاني، 20/2-21.
- ⁶⁷ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 2/450.
- ⁶⁸ الرحمان: 26.
- ⁶⁹ البقرة: 253.
- ⁷⁰ القصص: 15.
- ⁷¹ المطففين: 1-2.
- ⁷² الاعراف: 105.
- ⁷³ ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 2/509-511، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، 476-479، وجامع الدروس العربية، الغلاييني، ص 605-606.
- ⁷⁴ صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، (رقم 527)، ص 71.
- ⁷⁵ الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، ص 93.
- ⁷⁶ فتح الباري، العسقلاني، 2/13.
- ⁷⁷ ينظر: المصدر نفسه، العسقلاني، 6/7.
- ⁷⁸ عمدة القارئ، العيني، 5/20.
- ⁷⁹ الطلاق: 1.
- ⁸⁰ الاسراء: 78.
- ⁸¹ فتح الباري، العسقلاني، 2/14.
- ⁸² الكواكب الدراري في شرح صحيح الكرمان، 4/180، وحاشية على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري، الشنواني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (دط)، (د.ت) ص 184.
- ⁸³ ينظر، عمدة القارئ، العيني، 5/21.
- ⁸⁴ القصص: 15.
- ⁸⁵ دلالات الحروف وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، رجب محمد سالم رفاعي، ص 35.
- ⁸⁶ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م، 20/88.
- ⁸⁷ صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فليذبح على اسم الله)،

- (رقم 5500)، ص 680.
- ⁸⁸ ينظر: فتح الباري، العسقلاني، 679/9، وصحيح مسلم بشرح النووي، 112/13.
- ⁸⁹ عمدة القاري، العيني، 170/21.
- ⁹⁰ صحيح مسلم بشرح النووي، 112-111/13.
- ⁹¹ المصدر نفسه، 111/13.
- ⁹² الأعراف: 105.
- ⁹³ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 38/9.
- ⁹⁴ معاني الحروف، الرماني، ص 77.
- ⁹⁵ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 228-227.
- ⁹⁶ ينظر: المصدر نفسه، المرادي، ص 231-227.
- ⁹⁷ الكهف: 19.
- ⁹⁸ سبأ: 24.
- ⁹⁹ ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفي، دار بيروت، بيروت لبنان، دط، 1406 هـ/1986 م، ص 211.
- ¹⁰⁰ البقرة: 135.
- ¹⁰¹ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1411 هـ/1991 م، 80-74/1.
- ¹⁰² صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، (رقم 3686)، ص 445.
- ¹⁰³ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، القاهرة، ط 7، 1323 هـ، 102/6.
- ¹⁰⁴ ينظر: فتح الباري، ابن حجر، تخريج هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، مصر، ط 3، 2012 م، 64/7.
- ¹⁰⁵ ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح الكرمان، 224/14.
- ¹⁰⁶ شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك، تح طه محسن عبد الرحمان، مكتبة ابن تيمية، العراق، ط 2، 1413 هـ، ص 174.

The alternation of the use of prepositions of meaning in the prophetic discourse A study in Prophetic Hadiths of "Sahih Bukhari"

Dr. Abdelhamid Bouteria

hamid752007@yahoo.com

El-oued University



Abstract

This article tends to recognize some of the preposition meanings ,which have a clear presence in all its texts and prophetic Hadiths ,and its alternations use in its structures , and its great role in the cohesion of its elements and components . Based on what use intend to study in a set of prophetic Hadiths from . We analyze these semantic concepts in bedded in these propositions within the textual structures of these Hadiths .

Keywords:

meaning letters; prophetic hadiths; rotation use; the structure.